خصائص التّطـــور الدّلالـــــي في معجم الدوحة التاريخي

د. سامية الزرقانـــي عجاج*
كلية التربية قصر بن غشير، جامعة طرابلس ، ليبيا .
Sam.ajaj@uot.edu.ly
تاريخ الارسال 2025/10/9م تاريخ القبول 2026/2/11م

Characteristics of Semantic Development in the Doha Historical Dictionary

Dr. Samia Al-Zarqani Ajaj*
.Faculty of Education, Qasr Bin Ghashir, University of Tripoli, Libya
Abstract:

This research paper addresses the characteristics of semantic evolution in the Doha Historical Dictionary of Arabic, which is considered an important reference for documenting linguistic heritage. The research presents concepts related to semantic evolution, the factors influencing it, and its most important manifestations, providing applied examples that illustrate this development. The dictionary tracks the changes in the meanings of words over time. The research concludes that studying semantic evolution is key to understanding language as a living, changing entity, and the Doha Historical Dictionary of Arabic is an essential tool for this study. Therefore, studying the Doha Historical Dictionary and its semantic developments represents a significant step in the progress of linguistic and cultural scientific research.
Keywords:
Characteristics of semantic evolution - Doha Historical Dictionary of Arabic.

المُلخّـــــــــص:

تتناول هذه الورقـــة البحثية خصائص التّطور الدّلالي في معجم الدوحة التاريخي الذي ُيعد مرجعاً مهماً لتوثيق الموروث اللغوي، ويعرض البحث المفاهيم المتعلقة بالتّطور الدلالي، وعوامل التطور الدلالي المؤثرة في تطور اللغة، وأهم مظاهر التطور الدلالي، مع عرض أمثلة تطبيقية توضح هذا التطور، حيث يرصد المعجم تغيرات معاني الكلمات عبر الزمن ويخلص البحث إلى أن دراسة التطور الدلالي تمثل مفتاحاً لفهم اللغة كلغة حية متغيرة، وأن معجم الدوحة التاريخي يشكل أداة أساسية في هذه الدراسة، وبذلك فإن دراسة معجم الدوحة التاريخي وتطور دلالاته تمثل خطوة

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

مهمة في مسيرة البحث العلمي اللغوي والثقافي

الكلمات المفتاحيـــــة: خصائص التّطور الدلالي - معجم الدّوحة التاريخي

تمهيد:

يمثل التطور الدلالي الذي هو تغير معاني الكلمات ظاهرة شائعة في جميع اللغـات، فقد أكد الدارسون هذه الحقيقة، إذ يشبهون اللغة بالكائن الحي الذي ينمو ويتطور[1] فقد شبه العلماء اللغة بالكائن الحي؛ لأنها تحيا علـى ألسـنة المتكلمـين بهـا، وهـي لـذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن، مثلما يتطور الكائن الحي ويتغير، وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، واللغة أيضاً ظاهرة اجتماعية؛ لأنها تحيا في أحضان المجتمع، وتستمد كيانها منـه، وهـي تتطـور بتطـوره، فترقـى برقيـه، وتـنحط بانحطاطه[2].

ولمّا كانت اللغة ظاهـرة اجتماعية، فهي عرضـة للتطـور فـي مختلـف عناصـرها: أصواتها، وتراكيبها، ودلالاتها، وإن تطورها هذا يجري وفقاً لاتجاهات عامة رئيسـة، وذلك؛ لأن اللغة ليست جامدة بحال من الأحوال على الـرغم مـن أن تطورهـا قـد يبـدو بطيئاً في بعض الأحيان[3]

والتطـــور الـدلالي هـو مجـال مـن مجـالات التطـور اللغـوي، وهـو المجـال الأكثـر عرضة للتطور؛ لأن المفردات قابلة للتأثر بالزمن، وأطواره التاريخية، وهـي مقترنـة بنمط تفكير الإنسان، إذ لا يمكن أن يبقـى نمطـه التفكيـري رهـين فتـرة زمنيـة معينـة، ورهين نسق ثقافي أو اجتماعي معين، بل إن نمطه التفكيري في حركيـة دائمـة، وهـذه الحركية تستدعي ألفاظاً جديدة ودلالات جديدة أيضاً، فما يطرأ على الفكـر يطـرأ علـى اللغة أيضاً[4]

وعلاقة التطور الـدلالي بـالتطور اللغـوي، هـي علاقـة الجـزء بالكـل ؛ إذ أن التطـور اللغوي يشمل اللغة في مختلف مستوياتها: صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية، وبذلك يكون التطور الدلالي جزءًا من التطور اللغوي.

مفهوم التطور الدلالـــــي:

قبل الشـــروع فـي توضـيح معنـى التطـور الـدلالي، يجـب تقسـيم هـذه العبـارة إلـى قسمين:

أولا: ماهية التطور.

ثانيا: ماهية الدلالة.

أما عن مصطلح التطور يقول عبد الثواب: إن لفظة (تطور) يستخدمها اللغويون

المحدثون فهم لا يتحدثون عن التحول أو التقدم إلى وضع أفضل، فهو لا يعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة تغيير"[5]

يعني أن التطور هو ظاهرة تمس جميع الميادين في النمو والحركة من حالة إلى حالة أفضل.

وبالعودة إلى جدور لفظة (التطور) في المعاجم اللغوية القديمة نجد أن ابن منظور يورد في مادة (ط و ر) المعاني التالية: "الطور : التارة، نقول: طوراً بعد طور، أي تارة بعد تارة، وجمع الطور أطوارٌ، والناس أطوَارٌ، أي: أخياف على حالات شتى، والطور: الحال، وجمعه أطوارٌ، قال ثعلب: أطواراً أي: خلقاً مختلفة كل واحدة على حدة... والأطوار الحالات المختلفة والتارات والحدود... وحدها طور... والطور: الحد بين الشيئين"[6].

أما اصطلاحاً فأوضحه المبارك أنه تغير معاني الكلمات وإطلاق لفظ التطور على هذه الحالة؛ لأنه انتقال بالكلمة من طور إلى آخر"[7] إذا مفهوم التطور لا يعني التقدم ضرورة، بل هو الانتقال من شكل إلى آخر أي: التغير أو التحول.

أما مصطلح (الدلالة) فيشير إلى المعنى، والمعنى هو الشيء المقصود من كلام المتكلم، وهذا المفهوم هو ما يذهب إليه معظم دارسي اللغة، ومجال الدرس الدلالي هو دراسة المعنى اللغوي على صعيدي المفردات والتركيب، وإن كان المفهوم السائد هو اقتصار علم الدلالة على دراسة المفردات وما يتعلق بها من مسائل[8].

يقول ابن فارس في مادة (د ل ل): "الدال واللام أصلان أحدهما إبانة الشيء بأمارة تعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم دللتُ فلاناً على الطريق، والدليل: الأمارة من الشيء، وهو بين الدَّلالة والدِّلالة"[9].

وقول ابن فارس يعبر عن أن الدلالة تعني بيان المعنى والإشارة إليه وإيضاحه للسامع.

وقد أورد ابن منظور في مادة (د ل ل): "دلل: أدل عليه، والدّالة: ما تدل به على حميمك... وفلان يدلّ على أقرانه كالبازي يدل على صيده... ودلّه على الشيء يدلّه دلاً ودلالة فاندلّ: سدد إليه، ودللته فاندلّ والدليل ما يستدل به"[10].

نستنتج من قول ابن منظور أن الدلالة بالنسبة إلى الألفاظ هي ما تدلنا عليه من معانٍ توضح هدف المتكلم من كلامه.

وبالنظر إلى ما سبق يكون مفهوم (التطور الدلالي) هو: التغير الذي يطرأ على المفردة، سواء أكان المعنى المتطور دلالياً جديداً أم كان قريباً من الدلالة السابقة، أو

حتى إذا نقرض المعنى الأساسي للكلمة ويكون إطلاق لفظ (التطور) على هذه الحالة باعتبار كون المفردة تنتقل من طور إلى طور، أي: من حال إلى حال.[11]

والموضوع الأساسي لعلم الدلالة الذي يعرفه العلماء بأنه: "العلم الذي يدرس المعنى" فالدلالة هي: "المعنى، ودلالة أي لفظ هي: ما ينصرف إليه هذا اللفظ في الذهن من معنى مدرك أو محسوس والتلازم بين الكلمة ودلالتها أمر لابد منه في اللغة ليتم التفاهم بين الناس"[12].

وتغير المعنى ليس سوى جانب من جوانب التطور اللغوي، الذي يتم ضمن طبيعة اللغة الخاصة، فلا شيء ثابت أو مستقر فيها بصورة تامة، فكل صوت، وكل كلمة أو تعبير أو أسلوب يكون شكلاً أو صورة متغيرة ببطءٍ وبقوة غير مرئية أو مجهولة، وتلك هي حياة اللغة.[13] وإن التطور في اللغة يمكن أن يسير في إحدى طرائق كثيرة لا يمكن حصرها، ذلك أن العوامل المؤثرة في تطور اللغة لا يمكن أن تضبط أو تُحصر، بل إن بعضها غير قابل للحصر بطبيعته الخارجة عن النطاق اللغوي، فللحوادث التاريخية، والعوامل الدينية والاجتماعية أثر كبير في توجية هذا التطور وجهة دون أخرى.[14] كما أن الألفاظ تتبدل معانيها قليلاً أو كثيراً خلال الزمن، وعلى ذلك فإن سائر عناصر اللغة: من ألفاظ وتراكيب وقوالب ومعان -لا تبقى ثابتة على مر الزمن، بل تتحول وتتبدل، لذلك فإن البحث في اللغة لا يكون بالنظر إلى وضعها في عصر من العصور، بل بالنظر إلى المراحل التي مرت بها خلال العصور، من جوانبها كافة كالأصوات، والصيغ، والمعاني، وطرائق تركيب الكلام، والتعبير عن الزمن، وطالما أن اللغة كسائر الظواهر الاجتماعية يطرأ عليها التبدل والتغير، لذا تجب مراعاة فكرة التطور في سائر البحوث اللغوية.[15]

عوامل التطـــــوّر الدلالي:

تنوعت عوامل التطور الدلالي المؤثرة في تطور اللغة، ويمكن توضيحها في نوعين من العوامل:

ـ **عوامل خارجيـــــة**: تتعلق بالبيئة الاجتماعية والتاريخية والثقافية والنفسية.

ـــ **عوامل داخليـــــــة:** تتعلق باللغة نفسها وهي العوامل الصوتية أو الاشتقاقية والسياقية التي تميزها من خلال الاستعمال.

أولاً ـــ العوامل الخارجيـــــة:

وهي العوامل التي تغير دلالة اللفظ من معنى إلى معنى آخر، ومن بين هذه العوامل:

1- العامل الاجتماعي الثقافـــــي: يرى عبد الواحد وافي أن العوامل الاجتماعية

خالصة تتمثل في حضارة الأمة ونظامها وعاداتها وتقاليدها، وعقائدها ومظاهر نشاطها العلمي.[16]

فالعوامل الاجتماعية تنعكس بتطوراتها على اللغة؛ لأن اللغة مرآة المجتمع، تعكس حضارته ورقيه وتطوره، فكلما تقدمت الأمم وازداد رقيها وتنوعت مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والثقافية، ويظهر ذلك في مفردات جديدة عن طريق الاقتباس أو الاشتقاق؛ لأن الاستخدامات اللغوية تتسع وتتنوع المصطلحات الجديدة.

يقول ابن فارس (ت 395هـ) مشيراً إلى التطور الاجتماعي والثقافي الذي يؤدي إلى التطور اللغوي: "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله -جل ثناؤه- بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواقع أخرى بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت ومما جاء في الشرع: (الصلاة) وأصله في لغتهم (الدعاء)، وكذلك (الصيام) أصله عندهم (الإمساك)، ثم زادت الشريعة النية وحضرت الأكل والمباشرة، وغير ذلك من شرائع الصوم، وكذلك (الحج)، لم يكن عندهم فيه غير (القصد) وكذلك (الزكاة) لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية (النماء) وزاد الشرع ما زاده فيها"[17].

2- العامل النفســـــي : تتمثل العوامل النفسية في العواطف والمشاعر الإنسانية كالتفاؤل والتشاؤم، وهو من العوامل المهمة في تطور اللغة، فقد نستعمل أحيانا مفردات لها مدلول نفسي على المتلقي، فنقول للأعمى (بصيراً) وهذا المعنى وإن كان مضاداً للمعنى الحقيقي إلا أنه أخذ مدلولاً أوسع مما كان عليه بحيث أثر الجانب النفسي في إطلاق دلالته.[18]

3- العامل التاريخـــــي : وهو من العوامل المهمة التي تؤثر في تطوير الدلالة وإحياء الألفاظ القديمة والعودة إليها، بحيث كانت تلك الألفاظ تدل على شيء ما فانقرض لسبب من الأسباب، ثم عاد وزرعت فيه الحياة لتكملة الحاجة في الثروة اللغوية بشرط وجود مشابهة بين المعنى القديم والجديد للفظ القديم، وهي أسباب ناتجة عن تغير المجتمع أو الأشياء أو تغير النظرة إليها، فالشيء قد يتغير شكله أو وظيفته، ولكن اسمه يبقى فيظهر اختلاف بين الشيء الأول الذي وضع له الاسم، والشيء في الوقت الحاضر، ومثال هذا: الخاتم: لفظ مأخوذ من الجذر (ختم) الذى يعني (طبع)، ومنه الختام الذي يطبع به على الكتاب، وسميت الحلقة التي تلبس في الإصبع؛ لأنه يطبع بها على الكتاب، ثم اتخذت حلية وزينة ولم يعد لها معنى الختم أو الطبع.[19]

ثانيا ــ العوامل الداخليـــــــــة:

تتمثل هذه العوامل في الأصوات اللغوية والتراكيب والعناصر النحوية وصيغ الكلمات ومعانيها، ومن أهم العوامل الداخلية:

1- الاستعمال: يوضّـــح لنا إبراهيم أنيس أن "استعمال الألفاظ لم تخلق لتحبس في خزائن ولو بقيت على حالها جيلا بعد جيل لما تغيرت وتحولت، ولكن وجدت الألفاظ لتحيا من جديد ليستعملها ويتداولها الناس"[20] فكثرة استعمال اللفظ يعطيه دلالات أخرى، وقد يفقد دلالته الأصلية، وهذا ما يتبع التجربة والخبرة والذكاء. وقد رأى إبراهيم أنيس أن الاستعمال يتضمن ثلاثة عناصر:

أ ـ ســـــــوء الفهم : فقد يساء فهم الألفاظ وهذا ما حصل فعلاً عندنا في معاجمنا العربية، فقد اختلف في معنى كلمة (ليث) وهي الأسد وتعني : - أيضا - العنكبوت، يقول إبراهيم أنيس: " حين سماعنا للفظ للمرة الأولى فيساء فهمه ويوحى إلى ذهنه دلالة غريبة خارج معنى دلالة المتكلم ويمكن لا تكون هناك فرصة أخرى لتصحيح الخطأ ويلتصق بذهنه ذلك اللفظ بخطئه، فهو يساعد على تطور اللفظ من جيل إلى آخر فيتداول ذلك الخطأ في الكلام فينحرف المعنى ويكون بعيداً كل البعد عن المعنى الأصلي"[21].

ب ـ بلـــــى الألفـاظ : يقول إبراهيم أنيس: "حين يصيب اللفظ بعض التغيير في الصورة ويصادف بعد ذلك أن يشبه لفظاً آخر في صورته فتختلطان الدلالتان، ويصبح اللفظ مما يسمى بالمشترك اللفظي"[22] فعلى سبيل المثال نأخذ كلمة(الخيشوم) التي تعني (الأنف) تطورت هذه الكلمة في بعض لهجات الكلام حتى أصبحت تعني (الفم)، وذلك لأن؛ أصابها البلى في المعنى، فكثيراً ما يتطور صور الكلمات، ويترتب على ذلك تطور الدلالة، و قد يصل هذا التطور إلى أن تندثر الكلمة وتغنى من الاستعمال.

ج ــ الابتـدال: ويقسمها إبراهيم أنيس إلى ثلاث أقسام: السياسية، والاجتماعية، والعاطفية، وذلك بالألفاظ التي تستعمل في رتب اجتماعية وألقاب ومنها الألقاب المصرية مثلاً: كلمة (أفندي) مرت بها تطورات في دلالتها، وانحط قدرها على توالي الأيام وأصبحت كلمة (أفندي) في آخر عهدها ذات قد تافه،[23] وكلمة (الحاجب) كانت تعني في الدولة الأندلسية: رئيس الوزراء، ثم انحدرت في وقتنا الحاضر إلى معنى : البواب، وكلمة (الوزير) العربية أصبحت تعني في الإسبانية (الشرطي)، وإن هذا العامل في ذاته يعد مظهراً من مظاهر التطور الدلالي[24].

مظاهر التطور الدلالي:

أهم مظاهـــــر التطور الدلالـــــي ثلاثـــــة:

أولاً ـ تخصيص الدلالة : ويقصد بها تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضييق مجال استعمالها[25]، فمن أمثلة هذا النوع تخصيص كلمة (السبت) لمعنى الدهر ثم خصَّ في الاستعمال لغة بأحد أيام الأسبوع[26]، وتخصيص كلمة (الطهارة) لمعنى الختان في أذهان الناس، وكذلك تخصيص كلمة (الحريم) للدلالة على النساء بعد أن كانت تطلق على كل محرم، وكذلك إطلاق كلمة (العيش) على الخبر في اللهجة المصرية وغير ذلك، يقول ابن فارس (ت 395هـــ): "فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن و المسلم والكافر والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بما سمى المؤمن بالإطلاق مؤمناً، وكذلك الإسلام والمسلم، وإنما عرفت منه إسلام الشيء، ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع، ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: (فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها) وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله عز وجل، ومما جاء في الشرع الصلاة، وأصله في لغتهم الدعاء"[27].

ثانياً ـ تعميم الدلالة: ويطلق عليه بعض الباحثين: "توســـيع المعنى"[28].

ومن أمثلة تعميم الدلالة إطلاق (البأس) على كل شدة، وهي في الأصل بمعنى (الحرب)، وكذلك إطلاق (الورد) على كل زهر، وإطلاق (البحر) على النهر والبحر وغير ذلك.

ثالثاً ـ تغيير مجال الاستعمال : أو ما يسمى بانتقال الدلالة، أي: انتقال اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى مشابه أو قريب منه أو بينهما مناسبة[29]، فهو يحصل بطرق أهمها: الاستعارة، أي المجاز الذي علاقته التشبيه، والمجاز المرسل وهو الذي تكون علاقته غير التشبيه كالسببية والحالية والمحلية والجزئية والكلية، ومن أمثلته كلمة (القطار) معناها الإبل يسير الواحد منها وراء الآخر وهذه الصورة تتمثل في تتابع عربات القطار فيوجد هنا علاقة مشابهة، وكلمة (الشجرة) بمعنى (النخلة) و(الوغى) بمعنى (الحرب) وأصلها اختلاط الأصوات في الحرب وما إلى ذلك.[30]

معجم الدوحـــــة التاريخـــــي:

بعد سلسلة من الاجتماعات واللقاءات العلمية التي جمعت مجموعة من اللغويين

والخبراء أعلن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة يوم السبت 25 مايو 2013م عن إطلاق مشروع معجم الدوحة التاريخي، وقد أشـــرف على إعداد المعجم نخبة من اللغويين والخبراء، وعرف معجم الدوحة بأنه : صنف من المعاجم يتضمن ذاكرة كل لفظ من ألفاظ اللغة العربية تسجل تاريخ ظهور اللفظ بتحولاته الأولى، وتاريخ تحولاته الدلالية والصرفية ومكان ظهوره ومستعمليه إن أمكن مع توثيق تلك الذاكرة من نصوص تشهد على صحة المعلومات الواردة فيها.[31]

إذن معجم الدوحة التاريخي معجم لغوي، يهتم أساساً بحصر كل ألفاظ اللغة العربية ومعانيها وتقديم المعلومات المتعلقة باللفظ كالصيغ، ونصِّ الشاهد الذي ورد فيه ذلك اللفظ، وصاحب النص الذي ورد فيه اللفظ مع تاريخ استعمال ذلك اللفظ.

مميزات معجم الدوحة التاريخي:

تميز معجم الدوحة عن غيره من المعاجم بعدة مزايا أهمها:

1- يشمل ألفاظ اللغة العربية المستعملة في النقوش والنصوص حتى الألفاظ المشتقة اشتقاقاً قياسياً كاسم الفاعل، واسم المفعول، وغيرهما، موثقاً كل لفظ بنص شاهد يدل على استعماله بمعانيه، مقروناً باسم مستعمله وتاريخ استعماله أو تاريخ وفاة مستعمله، مع توثيق مصدر النص.[32]

2- يرجع معجم الدوحة باللفظ العربي إلى استعمالاته الأولى في النقوش، متى توفر ذلك وتقدم معلومات مهمة عن النقش الذي عثر عليه فيه.

3- يرجع معجم الدوجة باللفظ العربي المقترض إلى أصله اللغوي الفارسي أو الهندي أو اليوناني أو التركي أو غير ذلك.

4- يهتم معجم الدوحة برصد المصطلحات في مجالاتها العلمية والمعرفية والفنية كما أنه يعنى بألفاظ القرآن الكريم بقراءاته المتواترة

5- يعني معجم الدوحة بربط ألفاظ اللغة العربية بنظائرها في اللغات السامية متى أمكن ذلك.[33]

يشـــكّل معجم الدوحة التاريخي للغة العربية أكبر مشروع وأضخمه، يعنى بمعجمة اللغة العربية وفق الطرق العلمية إذ يهدف هذا المعجم إلى تعزيز مكانة لغة الضاد وتوطيدها كلغة للحاضر والمستقبل.[34]

أهداف معجم الدوحة التاريخي:

1- إنجاز معجم تاريخي للغة العربية.

2- بناء مدونة لغوية عربية شاملة موازية للمعجم وتتضمن جميع ألفاظه خلال

المراحل الزمنية المتعددة.

3ـ استخلاص معاجم فرعية عربية شاملة.

4ـ إصدار دراسات وأبحاث علمية.[35]

الأهمية والآفاق:

يختلف المعجم عن غيره من المعاجم بحجمه الهائل الذي يقدم مـادة لغويـة كبيـرة، بالإضافة إلى مضمونه التاريخي السياقي، وكذلك أهدافـه السـاعية إلـى تحقيـق نهضـة للغة العربية يمكنها أن تفيـد البـاحثين والمختصـين فـي أبحـاثهم فـي الحقـول المعرفيـة المختلفة ؛ إذ يُعد معجم الدوحة الأول في رصد الألفاظ العربية وجمعها وترتيبها داخل خط زمني، ولعل الاهتمام بالسياق التاريخي هو اهتمـام بالثقافـة وبحيـاة اللغـة العربيـة وتطورها وتفاعلها مع نفسها ومع العالم.

كما يطمح المعجم إلـى جمـع أكبـر قـدر مـن الألفـاظ ومعانيهـا. عبـر مراحلـه كافـة، ويعمل على ربط المعجم بالكتب التعليمية؛ لتمكين الطالب من الولوج إلى الكلمة داخـل النص فور النقر عليها فتحيله إلى المعجم وتمـده بمـا يشـرح لـه ماهيـة اللفـظ وتطـوره الزمني.[36]

يعد معجم الدوحة التاريخي للغة العربية مشـروعاً رائـداً فـي تتبـع التطـور الـدلالي للكلمات عبر العصور، حيث لا يكتفى بتقديم المعاني الثابتـة، بـل يسـلط الضـوء علـى التحولات التي شهدتها المفردات في سياقاتها الزمنية والثقافية المختلفة، وقد كشف هذا المعجـم عـن مـدى حيويـة اللغـة العربيـة ومرونتهـا، إذ تتغيـر دلالات الألفـاظ تبعـاً للتحولات الحضارية والمعرفية والاجتماعيـة التـي عرفهـا العـالم العربـي والإسـلامي ومن خلال هذا التوثيق المنهجي والتاريخي للدلالة، يسهم المعجم في تعزيز فهم أعمق للتراث العربي، ويدعم الباحثين واللغويين في دراسة تطور الفكر واللغة معاً.

خصائص التطور الدلالي في معجم الدوحة التاريخي:

(البأس): من نماذج تعميم الدلالة أو توسيعها كلمة (البأس) فقد كانت تعني الحرب، ثم أطلقت على كل شدة[37] ـ كما ذكرنا ـ غير أن معجم الدوحـة قـدّم معنـى (الشـدة) علـى معنى (الحرب)، إذ (اليأس: الشدة) قال مالك بن نهم الأزدي (ت قبل 150 ق.هـــ)

وفي الهيجاء كنا أهل بأس قتلنا بهمنا وبني كُـــــران

(واليأس: الحرب)، قال مهلهل بن ربيعة التغلبي (ت قبل 50 ق.هـ) يخبر عن أخيـه كليب.

فلقد كنت غير نكسٍ لدى البأ س ولا واهن ولا مكسال

ونلاحظ أن معجم الدوحة قد اهتم بالتأريخ للألفاظ أكثر من اهتمامه بتقدم الحقيقة على المجاز جاء في معجم لسان العرب:

بأس: الليث: البأساء اسم الحرب والمشقة والضرب.

واليأس: العذاب، واليأس: الشدة من الحرب[39]

(الخليفة): جاء في بعض المعاجم أن كلمة (الخليفة) قد خصص معناها للدلالة على الحاكم الأعلى للمسلمين دينياً ودنيوياً في العصر الإسلامي والأموي والعباسي، وقد كانت تعني قبل ذلك كل من يخلف غيره لموته أو لغيبته[40]. والنتيجة نفسها وصل إليها معجم الدوحة، فـ : (خليفة الشخص: من يبقى بعده ويحل محله)[41]، قال سعد بن مالك بن ضبيعة البكرى (ت قبل 50ق.هـ)

بئس الخلائف بعدنا أولاد يشكر واللقاحُ

وابتداءً من السنة الثالثة قبل الهجرة أطلق هذا اللفظ على معنى (من جعل الله له أمر الحكم والملك)، قال تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾ [سورة ص: 26] ، جاء في لسان العرب معنى الخليفة: الذي يستخلف ممن قبله، والجمع خلايف. والخليفة السلطان الأعظم[42]

(التثقيف): يرى محمد المبارك أن بعض الألفاظ تتطور دلالتها من معانٍ قديمة إلى معانٍ جديدة دلالة مباشرة بعيدة عن المجاز، حتى إن دلالتها الجديدة المجازية تصير أقرب إلى الذهن من دلالتها الحقيقية لكثرة استعمال المعنى الجديد وانتشاره وذيوعه، وخاصة بعد طول العهد بهذا الاستعمال، ومن الكلمات التي مثّل بها على ذلك ـ كلمة **(التثقيـــــف)**، فقد كانت تعني : (تقويم اعوجاج الرمـــح)[43] ، والنتيجة نفسها وصل إليها معجم الدوحة التاريخي؛ إذ التثقيف هو (التقويم والتهذيب)، وكان أول استعمال لهذا المعنى في السنة التاسعة قبل الهجرة، ثم تطـــور دلاليا إلى مجموعة من المعاني أهمها :

تثقيف الغناء ونحوه: تحسينه وتجويده. وشاهده قول عبد الله بن مسعود الهذلي (ت 32هـــ): "أنزل القرآن ليعمل به، فاتخذتم دراسته عملاً، وسيأتي قوم يثقفونه تثقيف الغناء، ليسوا بخياركم"

تثقيف الشخص: إيقافه وحبسه ، وأول شاهد لاستعمال هذا المعنى كان على لسان عبد الله بن بلكين بن باديس الصنهاجي (ت 483هـ)، إذ قال يذكر ما فعله الأمير يوسف بن تاشفين لعبد الرحمن بن رشيق بعد ما استغاث به: "وأمر بتثقيفه وإسلامه إلى المعتمد، وقيد في الحديد، ورأى هوناً عظيماً"[44] ، جاء في معجم لسان العرب:[45]

التثقيف: "الحدق والفطنة" وهو مصدر من الفعل "ثقف" الذي يعني إحكام الشيء واصطياده ، وثقفت الشيء حذفته وثقفته إذا ظفرت به و"ثقفت الرماح" تعني تسويتها وتعديل اعوجاجها.

(الورد):

ومن أمثلة تعميم الدلالة أن الناس في خطابهم اليومي يطلقون اسم (الورد) على كل زهر وهو لفظ دخل العربية عن طريق الفارسية مباشرة، بينما كانت تطلق على طلب الماء فقد جاء في معجم الدوحة: الورد: المنهل الذي يكثر إتيان الناس والدواب إليه.

وَرَدَ الماء ونحوه: حضره وأشرف عليه.

وَرد: زهر.

الورد نوع من الزهر، طيب الرائحة، تغلب عليه الحمرة، يقال: "وردت الشجرة، أي خرج نورها"[46].

وتناول ابن فارس في كتابه (الصاحبي) ظاهرة تعميم الدلالة وأفرد لها باباً بعنوان: (القول في أصول أسماء قيس عليها وألحق بها غيرها) جاء فيه: "كان الأصمعي يقول: أصل (الورد) إتيان الماء، ثم صار كل شيء ورداً"[48]

وجاء في لسان العرب معنى (الورد): "ورد: ورد كل شجرة نورها، والورد: الماء الذي يورد، والورد الإبل الواردة، وورد الماء: ورد عليه: أشرف عليه دخله أو لم يدخله"[48].

(الحريم):

تطورت كلمة (الحريم) دلالياً، فخصصت للدلالة على النساء بعد أن كانت تطلق على كل حمى محرم.[49]

وقد وقف معجم الدوحة على مجموعة من الفروقات الدلالية لهذه اللفظة غير أنه لم يصل إلى أنها قد خصصت لتدل على (النساء) فقط، حيث كان أول تعريف له لـ(حريم المرء) بأنه (ما يقاتل دونه ويحميه كالنساء والصغار)، وممن استعملوا هذا المعنى مهلهل بن ربيعة التغلبي (ت 100 ق.هـ) سنة (134 ق.هـ) حيث قال يعدد همومه من ثأر لأخيه وصونٍ لحريمه:

أخٌ وحريمٌ، سيّئٌ إن قطعته وسُنَّة عَزْمٍ هدْمُها لكَ هادِمُ

أما التعريف الثاني لـ(حريم المرء) فكان يعني (ما يجب له من عهدٍ ومهابة لا يحل انتهاكها) ومن شواهده ما قاله تأبط شرا الفهمي (ت 95 ق.هـ)

وذي رَحِمٍ أحالَ الدّهْرُ عنْهُ فليس له لدى رَحِمٍ حَرِيمُ

وأما التعريف الثالث فكان (حريم المكان)، إذ يعنى (ما أحيط به وكان من حقوقه ومنافعه)، وتم بناء هذا التعريف استنادا إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (حريم البئر أربعون دراعاً من حواليها كلها، لأعطان الإبل والغنم وابن السبيل أول شارب). الحريم: النساء.[50]

جاء في لسان العرب: الحريم: ما حرم فلم يمس، والحريم: ما كان المحرمون يلقونه من الثياب فلا يلبسونه. الحريم الذي حرم مسه فلا يدنى منه، والحريم: ثوب المحرم، وكانت العرب تطوف عراة وثيابهم مطروحة بين أيديهم في الطواف.[51]

(العقل):

يتتبع معجم الدوحة تطور دلالات كلمة (عقل) عند العرب حيث كانت مفردة (العقل) تعني : "إلى ما به يكون التفكير والإدراك والتمييز" منذ حوالى مئة وخمسين عاماً قبل الهجرة، أي : قبل سنة 476 م وشاهده قول بشر بن الهذيل الفزاري:[52]

ولا خير في طول الجسوم وعرضها إذ لم تزن طول الجسوم عقول

وتطور لفظ (عقل) ليشير بعد ذلك إلى: "الملجأ والحصن" كما تبين نصوص ترجع إلى مئة سنة قبل الهجرة، ومنها قول الشاعر أحيحة بن الحلاج الأوسي:

وقد أعددت للحدثان حصناً لو أن المرء تنفعه العقول

لكن الدلالة ستتغير لتعني: "ثوباً أحمر يغطى به الهودج" بحسب قصيدة عبدة بن الأبرص الأسدي التي يرد فيها:

لمن جمال قبيل الصبح مزمومة ميممات بلاداً غير معلومة
عالين رقماً وأنماطاً مظاهره وكلة يعتيق العقل مقرومه؟

وبحدود سنة مائة للهجرة جاء معنى العقل يحمل مدلولات فلسفية بعد نحو قرن ليعني : "القوة المفارقة المجردة عن المادة التي تفيض منها الصورة على الموجودات" منذ بداية القرن الثالث الهجري وفق رسائل جابر بن حيان، ويعبر العقل المكتسب عن تلك المعارف الصحيحة التي يكتبها الإنسان بالتفكير والتجارب، باصطلاح علم الكلام، كما توضحه رسائل الجاحظ التي كتبها خلال منتصف القرن الثالث الهجري، واستشهد بها المعجم.

(البصـــــيرة) :

يستعرض المعجم تطور كلمة (البصيرة) التي كانت تدل على دم القتيل الذي لم يؤخذ بثأره وديته بالاستشهاد بنص الأسعر الجعفي قبل خمسين عاما من الهجرة يقول فيه:

أبلغ أبا حمران أن عشيرتي ناجوا وللقوم المناجين التوى
راحوا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأى(53)

وتدل البصيرة خلال الفترة نفسها على الفهم والفطنة في إدراك الأمور، وتدل بعد ذلك على العبرة والعظة والنظر في الأمور، ثم إلى الحجة والبينة، واليقين ونفاذ القلب في إدراك الأمور، والشاهد، والدرع، وكذلك إلى شيء من الدم يستدل به على الرّمية.

مما ســبق يتضح لنا أن معجم الدوحة التاريخي اهتم بالإشارة إلى ما أصاب دلالات بعض الألفاظ من تطور دلالي، وهذا للتطور قد شمل مظاهر التطور الدلالي كلها فكانت هناك إشارات إلى التخصيص الدلالي وإشارات إلى التعميم وأخرى إلى انتقال الدلالة.

الخاتمة:

يتضح من خلال الدراسة أن التطور الدلالي يمثل ظاهرة لغوية طبيعية تعكس التغيرات الاجتماعية والثقافية التي مرت بها المجتمعات العربية.

إن معجــم الدوحة التاريخي يعد مصدراً غنياً يسمح برصد هذه التغيرات الدلالية وتفسيرها في ضوء النظريات اللغوية المعاصرة، كما يبرز المعجم كيف أن الكلمات لا تحتفظ بمعانيها الثابتة، بل تتطور وتتنوع لتعبر عن واقع متغيّر ومتجدد.

وبعد هذه الدراسة الموجزة حول التطور الدلالي في معجم الدوحة التاريخي نلخص الآتي:

ـ يتيح معجم الدوحة للباحث معرفة أصول اللغة العربية وتطورها والتغييرات التي طرأت عليها.

ـ يتميز معجم الدوحة التاريخي عن غيره من المعاجم بعدة خصائص إذ يهتم بترتيب الكلمات وكذلك معانيها ترتيباً تاريخياً.
ـ يهتم معجم الدوحة بذكر الشواهد التي وردت فيها الكلمات وكذلك المصادر التي أخذت منها الشواهد مع توثيق هذه المصادر بذكر المؤلف والصفحة.
ـ يهتم معجم الدوحة بذكر التاريخ الذي استعمل فيه اللفظ ويحدد أيضاً النوع الصرفي أي: صيغة الكلمة سواء كانت اسما، فعلا.
ـ لا يعتمد معجم الدوحة إلا الشواهد السياقية الحية المتداولة على لسان مستعمليها ومعجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) بوصفه مصدراً من مصادره.
ـ يعد معجم الدوحة بعد اكتماله أول معجم تاريخي للغة العربية؛ لأن هذه المحاولات لم تنتهِ من إنجاز هذا المشروع وتوقفت قبل إكماله.
ـ يسعى معجم الدوحة إلى ضمان سهولة الفهم.
ـ التطور الدلالي في معجم الدوحة لا يُعد مجرد تسجيل لغوي، بل هو نافذة على التاريخ الثقافي والحضاري للأمة.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــش.

1. فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ط5، 1972، ص32.
2. التطور اللغوي ومظاهره، رمضان عبد الثواب، مطبعة المدني، مصر، ط1، 1983، ص41.
3. المصدر السابق، ص9.
4. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1976، ص132،131.
5. التطور اللغوي ومظاهره، رمضان عبد الثواب، ص 41.
6. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1، مادة (طور).
7. فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، ص 207.
8. مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008، ص337.
9. مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الفكر 1979، مادة (3 ل)، ص259.
10. لسان العرب ، مادة (344)، ص248.
11. ظاهرة التطور الدلالي في اللغة العربية، هشام قدوم، مجلة الآداب، مجلد 18، العدد (1)، 2018، ص6 (الانترنت).

12. لحن العامة والتطور اللغوي، رمضان عبد الثواب، الناشر مكتبة زهداء الشرق، ط2، 200م، ص30.
13. دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، ص 153.
14. فقه اللغة وخصائص العربية، ص 32.
15. ينظر فقه اللغة وخصائص العربية، ص 31.
16. اللغة والمجتمع، عبد الواحد وافي، دار النهضة مصر، د.ت، د.ط، ص8.
17. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد ابن فارس، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1997، ص80.
18. علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي، عبد الجليل منقور، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2001م، ص 71.
19. المعجم وعلم الدلالة، سالم سليمان الخماش، جامعة الملك عبد العزيز، جده، د.ط، 1428ه، ص75.
20. دلالة الألفاظ، ص 134.
21. المصدر السابق، ص 138.
22. المصدر السابق، ص 140.
23. المصدر السابق، ص 139.
24. التطور الدلالي في ضوء علم اللغة الحديث، حسين حامد الصالح، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد 15، يناير 2003، ص 76، (الانترنت).
25. لحن العامة، ص 63، وينظر، علم الدلالة إطار جديد، بالمر، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1995م، ص 24.
26. ينظر علم اللغة، عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط9، 2004م، ص320، وينظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق عبد الرحمن جلال وآخرين، المكتبة المصرية، بيروت، د.ط، 1986م، ج1، ص427.
27. الصاحبي في فقه اللغة، ص 45.
28. علم الدلالة، أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1985م، ص 125.
29. ينظر دلالة الألفاظ، ص 160.
30. فقه اللغة وخصائص العربية، ص 220-221.
31. مقدمة المعجم، معجم الدوحة التاريخي، www.dohadictionary
32. مقدمة المعجم، عبد السلام المسدى، رمزي بعليلي، معجم الدوحة التاريخي، www.dohadictionary.
33. مقدمة المعجم (السابق).
34. معجم الدوحة التاريخي، الضاد نحو المستقبل ، آداب وفنون، 2018م، (الانترنت).
35. مقدمة المعجم.
36. مقدمة المعجم.
37. لحن العامة والتطور اللغوي، رمضان عبد الثواب، ص 63.
38. معجم الدوحة التاريخي جذر (ب د س) فرع (بأس).
39. لسان العرب، ابن منظور، ج 2، مادة (بأس).
40. دراسات في الدلالة والمعجم، رجب عبد الجواد إبراهيم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2001م، ص 96.

41. معجم الدوحة، جذر (خلف) فرع (خليفة).
42. لسان العرب مادة (خلف).
43. فقه اللغة وخصائص العربية، ص 221.
44. معجم الدوحة، جذر (ثقف) فرع (تثقيف).
45. لسان العرب ، مادة (ثقف).
46. معجم الدوحة، جذر (ورد).
47. الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص 60.
48. لسان العرب، مادة (ورد).
49. التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد الثواب، ص 196.
50. معجم الدوحة، جذر (الحرم) فرع (الحريم).
51. لسان العرب مادة (حرم).
52. معجم الدوحة، جذر (عقل) فرع (العقل).
53. معجم الدوحة، جذر (بصر) فرع (البصيرة).